بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان

القيم الأخلاقية والعلمية في حديث أصحاب الأخدود

لفضيلة الشيخ الدكتور النائب

سالم أحمد سلامة

رئيس رابطة علماء فلسطين

الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

القيم الأخلاقية والعلمية في حديث أصحاب الأخدود

إن الحمد نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وسلم تسليما كثيرا .

لقد جرت عادة الباحثين والمهتمين بدراسة الممارسات التربوية ، أو الكفايات التعليمية لدى المعلم أو المتعلم ، أن يعتمدوا على تصميم الاستبيانات ، ثم طرحها في ميدان الفئة المطلوبة ، ثم استنباط المؤشرات من خلال التحليل حسب الأصول المرعية في مثل هذه المجالات ، والخروج بالنتائج . وإذا كنا نبحث عن القيم والتربية في عالم متغير ، لا بد لنا من مقياس صحيح لا يتطرق إليه شك في عالمنا المتغير .

وأرى أن المقياس الصحيح والذي لا يتطرق إليه شك في حياتنا هو الشريعة الإسلامية بأصليها الكتاب والسنة . ولأن الكتاب يأمرنا أن نتخذ رسولنا محمداً ﷺ قدوة حسنة :" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً".[1] ولأن الرسول ﷺ كان قرآناً يمشي على الأرض ، فهو الميزان والمقياس الإلهي الذي لا يتغير بتغير العالم وقد وقع اختياري على حديث أصحاب الأخدود ، لما فيه من القيم الأخلاقية والعلمية والتربوية التي نحن بأمس الحاجة إليها في أيامنا هذه ، وقد تكالبت علينا الأمم تنهشنا في كل مجالات الحياة ، أخلاقاً وسلوكاً ، علماً وسياسة واقتصاداً ، حتى أصبحنا في وضع المدافع عن حياتنا وعن كل شيء فيها ، حيث لم يسلم شيء لنا فيها من المهاجمة .

سبب اختياري لهذا الحديث الشريف :

١- لقد وقع اختياري على هذا الحديث الشريف ، لما وجدت فيه من قيم أخلاقية وتعليمية ، يعوزنا التشبث بها ، وتعليمها لأجيالنا القادمة ، والتي ستتسلم الراية من بعدنا، لعل الله سبحانه وتعالى يرفع بها عماداً يحاول الأعداء بشتى الطرق هدمه أو إسقاطه ، وجهل الأعداء طبيعة هذا الدين وطبيعة الأجيال المؤمنة به على مر الزمان ، وقد أخبر المصطفى ﷺ أن الأمة الإسلامية كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره . فعَنْ أَنَس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ *[2]

٢- كما قوى من عزيمتي في اختيار هذا الحديث أيضاً ، أنني وجدته يتعرض إلى غلام من الغلمان ، في مقتبل عمرهم ، وهم في سن التعليم الأولي ، وهو السن الذي يتشرب فيه الأبناء كل ما يلقى إليهم من مبادىء وأخلاق وعلوم ، في البيت أو المدرسة ، فلا تنسى من ذاكرتهم ، وقديما قالوا: " العلم في الصغر كالنقش في الصخر". وهو ما تركز عليه مناهج التعليم في وقتنا

---

[1] – سورة الأحزاب ، رقم الأية ٢١ .

[2] – أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في جامعه ، كتاب الأمثال باب مثل الصلوات الخمس وقال : "وفي الباب عن عمار وعبدالله بن عمرو وابن عمر . قال أبو عيسى – أي الترمذي – وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ..."

هذا . يقول علماء التربية :" ان سلوك الفرد يتأثر بمستوى النمو القيمي بما يتفق وطبيعة المرحلة العمرية"[٣] أي السن.

ولعلي لا أكون مبالغاً إن قلت : إن ما يعانيه الغلمان اليوم يستند في الغالب إلى فقدان خطة قومية ، تدعم القيم التربوية ، وتعلي من تعميق ماهية الحق والخير والجمال في المجتمع. ولا شك أن هذا مطلب ملحٌّ لا يحتمل التأخير ، إذ كيف يغفل المخططون في الدولة دراسة أهم عنصر حقيقي في بناء الثروة البشرية ، وهو إعلاء القيم التربوية ، وتدعيم مقوماتها في المجتمع .

٣- وزاد من اقتناعي بالدراسة والتحليل لهذا الحديث أني وجدته يضع لنا أسساً متينة وقويمة في طرق التعليم ، واختيار النابهين من أبناء الأمة ورعايتهم منذ الصغر ليبرزوا في مجال معين ، ويتفوقو فيه ، وتبدو ملامح الذكاء والفهم على الأبناء وهم في هذا السن الأولي للتعلم .

٤- ولما كانت الأسرة والمدرسة من أهم المؤسسات التربوية ، التي تسهم في تربية الغلمان – الأطفال – فتأثير الأسرة على الغلام – الطفل – من المعلوم أنه يبدأ من اللحظة الأولى لميلاده ، كما أن تأثيرها عليه ، يلعب دوراً في تكوينه وتوجيهه . وبمقدار ما تبذل الأسرة من الجهد التربوي المناسب ، بقدر ما ينمو الطفل ويتشكل .

كما أن المدرسة تتحمل العبء الأكبر في عملية تأكيد ثقة الفرد في معتقداته ومقدراته الثقافية والحضارية ، كما أنها تقوم بتزويده بأدوات تطوير المجتمع في جميع المجالات الزراعية الصناعية والخلقية .

ومن هنا فالمدرسة تعتبر عاملا هاما وضابطا للتحكم في نمو وتطور الجماعات الإنسانية ، فالتوجيه للغلمان وتنمية خبراتهم عن طريق الكبار – مدرسيهم – فيه الضمان لتكوين المجتمعات السليمة ، والمتطورة التي تنشد التقدم . ولا شك أن أهم شيء في ثروة الأمم "هو القوة البشرية ، حيث إن هذا المصدر من الثروة هو الذي يتوقف عليه تحويل المصادر الطبيعية إلى أشياء مفيدة يحسن استغلالها وتدبيرها وتوجيهها إلى خير المجموع ، كما يتوقف عليه إبعاد الأمة عن أن تكون موقع أطماع الآخرين ."[٤]

---

[٣] – بحث بعنوان :"دور الروضة في إكساب الأطفال القيم الأخلاقية " لم ينشر بعد ، مقدم إلى "مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير"، للدتور محمد وفائي / علاوي الحلو ، ص ٢٣ .

[٤] –التعليم العالي ومسئوليته في تنمية دول الخليج العربي ، دراسة تحليلية تربوية لأعمال الندوة الفكرية الأولى لرؤساء ومديري الجامعات الخليجية ، ٤-٧ يناير ١٩٨٢م ، للأستاذ محمد عبدالعليم مرسي ، الرياض مكتب التربية العربي لدول الخليج ، طبعة ١٩٨٥م ص ١٧٧ .

٥- بالإضافة إلى ما في هذا الحديث من دلالة واضحة على إثبات كرامات الأولياء ، وأنه ليس بالعجيب أن تظهر كرامة على يد غلام من غلمان المسلمين . فكرامات الله سبحانه وتعالى تظهر على يد الكبار من الأولياء وكذا الصغار سواء بسواء .

ولن أكون مغالياً إن كان في هذا البحث رد على أولئك الذين لم يستوعبوا كرامة الله للطفل الإفريقي ، والذي ملأ صيته أطباق الأرض حيث نقلته الإذاعات المرئية والمسموعة عبر الفضائيات ، كما نقلته الصحف المحلية والعالمية ، فأخذ بعضهم يلوك لسانه بتكذيب ذلك ، وأخذ آخرون يتهمون أخواننا الجن المسلم من وراء ذلك . ونسوا أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا في قرآنه الكريم عن عيسى بن مريم عليهما السلام ، وكلامه في المهد ، أي في سن أصغر من هذا الطفل الإفريقي . ولم يكن عيسى بن مريم عليهما السلام المتحدث الوحيد في المهد بل هناك ما ورد في الحديث الشريف الذي نحن بصدده حيث قد ورد في نهايته : " ... حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهِ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ ". كما ورد أيضا أن غلاماً كلمه جريج الراهب ، وكذلك رضيع المرأة التي ورد ذكرها في حديث أبي هريرة ﷺ والذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ، كما أخرجه غيره.

فحديث البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ *[٥]

مشكلة البحث :

يمكن أن تصاغ مشكلة البحث في السؤال التالي :

- ما أهم القيم والممارسات التربوية التي يمكن استنباطها من خلال حديث الساحر والراهب والغلام ، وهي قصة أصحاب الأخدود .

أهداف البحث :

[٥] - أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله :" واذكر في الكتاب مريم ..." رقم الحديث ٣١٨١ .

يهدف البحث إلى ما يلي :-

١- إبراز الشخصية التربوية للمعلم المتفوق والتأكيد على الاقتداء بها .

٢- الكشف عن بعض العلامات[6] في الممارسات التربوية التي تضمنها حديث الساحر والراهب والغلام - قصة أصحاب الأخدود -.

٣- التقدم ببعض التوصيات ، التي يمكن أن تساهم في انتقاء المعلم الكفء ، للارتقاء تربوياً وعلمياً .

أهمية البحث :

يكتسب البحث أهميته من الآتي :-

١- السنة النبوية الشريفة وموقعها من التشريع الإسلامي .

٢- محاولة استنباط منهج تربوي إسلامي متكامل من خلال الأحاديث النبوية الشريفة ، والتي تمثل الترجمة الحقيقية للتربية القرآنية للجيل القرآني الفريد وهم صحابة رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين .

٣- يبقى العلماء - بعد الله سبحانه وتعالى - هم بوصلة الأمة ، للوصول إلى العزة والسؤدد ، وهم الوحيدون المؤهلون لنصيحة الحكام أومحاججتهم .

٤- ما تمثله العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائها ، من إعلاء لشأنهم ، وحفظ لأرواحهم ونفوسهم من أن تنزلق في إغراءات الحياة الدنيا وزينتها .

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي ، حيث تعرض الباحث إلى الحديث النبوي الشريف ، وسار معه فقرة فقرة ، وأحيانا جملة جملة ، واستطاع أن يستنبط ما فتح الله عليه ، مع محاولة ربط ذلك بحالنا اليوم ، والاستفادة منه ما أمكن .

وبما أن الحديث الشريف الذي سنتعرض إليه بالتحليل والاستنباط صحيح قد أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه فلن نتعرض إلى شيء من السند بالدراسة أو الحكم على الرجال ، فصحيحا الإمامين البخاري ومسلم قد تلقتهما الأمة بالقبول ولله الفضل والمنة .

فأخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عَنْ صُهَيْبٍ بن سنان ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ

[6] - من قوله سبحانه وتعالى :" وعلامات وبالنجم هم يهتدون ". سورة النحل ، رقم الآية ١٦ .

رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَا يَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهِ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ *[٧]

وبالنظر في هذا الحديث الشريف نجد فيه علامات لا بدّ من الوقوف عندها لنستنبط الحكم والعلم ، والأخلاق والقيم في أعمار المجتمع كباره وصغاره ، علماؤه وتلاميذه أو طلابه.وسأقوم بوضع كل علامة لوحدها .

١ –فالعلامة الأولى مما يرشد إليه الحديث الشريف : هي أن العلم يجب أن يورث ويعلم إلى الأجيال القادمة ، بغض النظر عن كون العلم نافعاً أم لا . فهاهو الساحر – رغم أن هذا العلم (السحر) محرم العمل به في شرعنا الإسلامي ، ولا فائدة من تعلمه – يريد الساحر المتخصص في السحر أن يورث علمه – وهو السحر – إلى من يحمله عنه ويعمل به ، وينقله إلى الأجيال القادمة . فالساحر عالم بعلم السحر . ولا يريد أن يموت قبل أن يورث علمه إلى من يحمله ويبرع فيه .

---

[٧] – صحيح الإمام مسلم بن الحجاج أخرجه في كتاب الزهد والرقائق باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام . والإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة البروج رقم ٣٢٦٣ وفيه زيادة. والإمام أحمد في مسنده رقم ٢٢٨٠٥ .

وهذا مما يجعلنا نفكر جدياً في توفير خطة على المستوى الإسلامي والقومي ، تسهم بدرجة كبيرة في توضيح الرؤية أمام المؤسسات التربوية ، بحيث تستجيب تلك المؤسسات لأهداف الدولة من جهة ، وطموحات الآباء والأمهات من جهة أخرى . وشأن هذه الخطة أن "ترصد كل ما له علاقة بحياة المواطن وحياة المجتمع من حوله ، ثم تدخله في مناهجها ومقرراتها وتدرسه للأجيال الصاعدة ، حتى تتخرج هذه الأجيال ، وهي واعية بما يدور حولها، وبما يؤثر في حاضرها ومستقبلها ، في تسلحه بالقدر الكافي من العلوم والمهارات والمعلومات بحيث يستطيع أن يواجه الحياة بمشاكلها ومعضلاتها دون خوف أو عجز."[٨] وحتى لا يترك الأمر لكل من هب ودب في تعليم ما شاء ولمن شاء دون وازع من إيمان أو ضمير ، وحتى لا يتكرر ما حصل من الساحر – الكاهن – في هذا الحديث ، فالسحرة والكهنة كثر في هذا الزمان .

ولأن الساحر موكل من قِبَل الملك بهذا العلم – وهنا نعتبره المدرسة – فإنه رفع طلبه إلى الملك نفسه حيث كان يتكهن له كما كان نديماً له ، والملك يمثل السلطة العليا في الدولة ، ليستصدر منه قراراً بذلك ، فيكون أدعى لتحقيق رغبة العالم بالسحر . ففي رواية الإمام الترمذي :" كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له ، فقال الكاهن : انظروا إليَّ غلاماً فهما أو قال فطناً لقنا ، فأعلمَه علمي هذا ، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه ".

٢–والعلامة الثانية : هي أن العالم بالسحر – الكاهن – لا يريد أي غلام يعلمه الكهانة والسحر ، بل يريد نوعية معينة من الغلمان . والغلام هو ما بين السابعة من العمر إلى سن البلوغ . وهذا السن هو سن الحفظ والتلقي ، والقدرة على حفظ كميات كبيرة من المعلومات رغم كون الغلام في هذا السن قد لا يفهم معناها ، ولا يدرك مراميها .

وقد يكون هناك من الغلمان من يبدو عليه علامات النجابة والنبوغ قبل هذا السن ، مثل ما ورد في شأن محمود بن الربيع ﷺ أنه قال كما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه :" عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ * [٩] فهذه السن خمس وست سنين هي سن قابلة للتلقي والحفظ ، أما إذا أراد المعلم تعليم الغلمان الأشياء العملية ، فيستحسن أن تكون سن السابعة هي البداية لتلقي العلم العملي السلوكي . والفرق شاسع بين العلم النظري وبين العلم السلوكي والتطبيقي ، فحفظ أيات من القرآن الكريم ، أو أحاديث رسول الله ﷺ في الدعاء مثل أدعية تناول الطعام أو النوم والاستيقاظ ، ودخول

---

[٨] – التعليم العالي ومسئوليته في تنمية دول الخليج العربي ، دراسة تحليلية تربوية ص ١٧٤ .

[٩] – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم باب متى يصح سماع الصغير رقم الحديث٧٥ . والإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر رقم الحديث ١٠٥٢ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة وسننها باب المج في الإناء رقم الحديث ٦٥٢ ، والإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٢٢٥١٤ .

الحمام أوالخروج منه ، فهذه أدعية نظرية يسهل حفظها . أما الأشياء التي تستدعي أعمالا وسلوكا ، فهذا يتطلب سنًّاً أكبر مثل سبع سنين ، ألا ترى كيف قال النبي ﷺ :" مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ أَوْ أَجِيرَهُ فَلَا يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِهِ فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ عَوْرَتِهِ * [١٠] فالصلاة فيها تعليم عبادي سلوكي ، فبالإضافة إلى الفاتحة وقراءة سور صغيرة من القرآن والتشهد ، إلا أن فيها الركوع والتسبيح والطمأنينة فيه والاعتدال والدعاء والطمأنينة فيه ، والسجود والتسبيح والطمأنينة فيه ، وهذه قد يضيعها بعض الكبار ، ألم يقل رسول الله ﷺ للمسيء صلاته : "صل فإنك لم تصل " لأنه لم يطمئن في صلاته . أخرج الإمام البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ وَقَالَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي فَقَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا *[١١]

٣-**والعلامة الثالثة** : أن المدارس هي المكان الذي يظهر فيه نبوغ الطفل ، وهي الجهة المؤهلة لاختيار الأذكياء والنابهين ، ولذا ألا ترى كيف اختاروا له غلاماً نبيهاً فطناً ، له شغف بالعلم ، وسرعة حافظة ، ففي رواية الإمام الترمذي رحمه الله :" فقال الكاهي انظروا إليَّ غلاماً فهماً أو قال فطناً لقناً فأعلمه علمي هذا ، فإني أخاف أن أموت ، فينقطع منكم هذا العلم ، ولا يكون فيكم من يعلمه . قال فنظروا له على ما وصف ". فالمدرسون هم الأقدر على اختيار المطلوب حسب المواصفات الآتية من جهات الاختصاص . وليس كما يفعل اليوم في بعض الإدارات التعليمية أن يختار أناس لبعثات علمية ليسوا كفؤا ، فكيف يختارون المبتعثين؟! يختارونهم حسب المعرفة والواسطة والمحسوبية ، بل إن بعض من يلتحقون بالدراسات الجامعية أو البعثات ليسوا الأكفأ وليسوا الأعلى درجات . بل وصل الأمر لأن يكون القبول في بعض الجامعات ٧٥% محسوبيات ، ٢٥% لأصحاب الشهادات والدرجات . فهل صحيح أن هذه النسبة المتدنية للمتفوقين أمام الأغلبية من المحسوبين على الملأ ستخرج علماء أفذاذاً ، وعقولا علمية معلمية فذة ؟ كلا.

٤-**والعلامة الرابعة** : هي الملازمة للمدرس ، والحضور إليه ، والتتلمذ على يديه ، وهذا ما نسميه اليوم " الالتحاق بالدراسة أو المدرسة " وهذا يؤخذ من الحديث كما في رواية الإمام الترمذي رحمه الله :" فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن ، وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ". ولذا انتبه خبراء التعليم في الوزارات والمديريات التربوية والتعليمية إلى عملية الالتحاق بالمدرسة أو الجامعة ، وليس الانتساب ، وذلك لعدة أسباب أذكر منها :

أ – ما في الالتحاق من رؤية للمعلم ، وتتلمذ على يديه ، مما يجعله يتربى تربية متكاملة ، تشمل جوانب عديدة في حياة التلميذ ، وهذا من خلال الممارسات التربوية المتنوعة التي كان يقوم بها المربي ، والتي بمجموعها تبني شخصية للمتعلم متوازنة متكاملة الأبعاد . فأحياناً يقوم المعلم

---

[١٠] – أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ٦٤٦٧ .

[١١] – أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها رقم ٧١٥ ، وفي الأذان أيضاً ، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة رقم الحديث ٧٥١ . والإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأذان باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ...رقم الحديث ٦٠٢.

المربي بنصح المتعلمين وإرشادهم إلى كل عمل صالح ، وسلوك حسن . فقد يُعنى المعلم المربي بغرس الآداب الحميدة عن المتعلمين ، كما يعنى بتعديل سلوك المتعلمين لما يراه من تصرفاتهم اليومية ، وكلماتهم التي يتداولونها بينهم ، خاصة والسلوك الإنساني عرضة للانحراف من حين لآخر ، بسبب تعرض المتعلمين لمؤثرات سلبية عديدة ، فالمعلم المربي يعدل من سلوك المتعلمين كلما وجد فيه اعوجاجاً.

ب- بالإضافة إلى الخبرة المباشرة وغير المباشرة التي يكتسبها الملتحق . ويقصد بالخبرة المباشرة :" تلك التي يمر بها الفرد بنفسه ، ويكون طرفاً أصيلاً فيها ، وهذا النوع من الخبرة ضروري للإنسان ، لأنه يتعلم منه بصورة أكيدة ، وتمثل الخبرة الحية المباشرة قمة الخبرات ، من حيث تأثيرها القوي على المتعلم ".[١٢]

بالإضفافة إلى ما في الإلتحاق من مشاركة المتعلم في العملية التربوية ، لأن دور المتعلم في العملية التربوية دور إيجابي ، خاصة عندما يسأل ويناقش ويسمع ويشاهد . وأعجب من الذين يطلقون على مشاركة المتعلم في العملية التربوية منهجاً تربوياً حديثاً ، كيف وقد كان هذا المنهج متبعاً زمن المصطفى ﷺ أي قبل أكثر من (١٤٠٠) ألف وأربعمائة عام على يدي سيد المعلمين وهو رسول الله ﷺ كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا.*[١٣] فهاهم الصحابة رضى الله عنهم أجمعين يشاركون في العملية العلمية التربوية ، فيسألون ويجيب النبي ﷺ ، ويستفسرون عما أشكل عليهم ، ويجيبهم النبي ﷺ بلطف ولين ورحمة .

ج – بالإضافة إلى ما في الممارسات التربوية ما بين المعلم والمتعلم من اللطف واللين وحسن الاستماع والاستفسار ، وحسن الإجابة والتشجيع وهو ما يسمية التربويون " بالمحفزات" والشفقة والرحمة . وهذه الصفات الإنسانية الحسنة هي التي يجب أن تغرس في أذهان المتعلمين ، حتى يتزودا بها علما وتربية ، فالعملية العلمية والتربوية متكاملة ولا تنفصل . غير أنها تعتبر " ألزم

[١٢] – فلسفة التربية (اتجاهاتها ومدارسها) للأستاذ محمد منير مرسي ، عالم الكتب ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٢م ص١٥٨ .

[١٣]– صحيح مسلم ، كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢–٦٩٨.

بالنسبة للمعلم الذي يقوم عمله على العلاقات الإنسانية ويتوقف النجاح فيه على مدى ما يوفره المعلم من جو نفسي قوامه الحب واللطف والشفقة والرحمة ".[١٤]

بعكس ما إذا كان المتعلم منتسباً غير ملتحق بالمدرسة فسوف يفوته أغلب إن لم يكن كل ما يحصله الملتحقون .

٥–والعلامة الخامسة : أن الأطفال بفطرتهم عندهم حب الاستطلاع ، فيجب مراعاة ذلك ، كما أن من طبيعتهم حب اللعب واللهو ، فيجب ألا يمنعوا من ذلك ، ألا ترون أن الأطفال كثيرو الحركة ، ويحبون الحلوى ، وهي التي تمدهم بالسعرات الحرارية اللازمة للحركة . فإذا وجدت غلاماً لا يتحرك ، ولا يلعب كما يلعب نظراؤه، فاعلم أنه مريض .

ولذا لا يمكن أن يقبل أن تكون المدرسة هي المكان الذي يتلقى الطفل فيه بعض المعلومات فحسب ، فهذا إعداد تقليدي ممقوت وممجوج ، وذلك لأن "العملية التربوية أجل وأسمى وأعمق في أهدافها من مجرد تلقين المتعلمين بعض المعلومات وجلوسهم أحياناً لامتحانات".[١٥]

فبالرغم من أن التربية يجب أن تتناول الطفل لتشمل جميع جوانب شخصيته، فيجب أن يترك له مجال ليمارس هواياته في اللعب واللهو والإجابة على أسئلته الكثيرة والتي تدل على بداية تفتح عقليته وقريحته ، كما أن بعض الأسئلة قد تكون محرجة ، فلا بد من حسن مراعاة لسنه ولطف في إجاباته ، والسماح له بممارسة هواياته الحرة والبريئة ، فهذا مما يساعده في تنشيط ذهنه ، وإكسابه الحيوية والنشاط اللازمين له ، بالإضافة إلى ما فيه من إقامة علاقات مع مدرسيه وزملائه ، وستفقد المدرسة كثيراً مما يعول عليها فيه إذا أصبحت مكاناً " للتلقين والتعمق في المعارف الإنسانية بكافة أنواعها فحسب دون إقامة علاقات من أي نوع في نطاق المدرسة."[١٦]

وحب الاستطلاع وكثرة أسئلة الأطفال والحاجة إلى إجابات على قدر عقولهم، والتلطف بهم والتحبب إليهم ، كل ذلك يؤخذ من أسلوب الغلام في أثناء سلوكه طريقه إلى الساحر . ففي رواية الإمام مسلم رحمه الله " فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه." وفي رواية الإمام الترمذي رحمه الله :" وكان على طريق الغلام راهب في صومعة – قال معمر أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين – قال فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به ، فلم يزل به حتى أخبره فقال : إنما أعبد الله ، قال فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ عن الكاهن بذلك .."

---

[١٤] – من أسس التربية الإسلامية للأستاذ عمر محمد التومي الشيباني ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م ، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ص ١٨٤ .

[١٥] – تربية الطفل قبل المدرسة ، للأستاذين سعد مرسي أحمد ، وكوثر كوجك ، القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م ص ٤٤ .

[١٦] – رعاية الطفولة ، ليوسف ميخائيل أسعد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، طبعة ١٩٧٩م ص ١٣٨ .

٦–**العلامة السادسة** : وهي أن الأطفال بريئون من كل شرك ، فهم على الفطرة التي ذكرها المصطفى ﷺ عندما قال :" كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ". ولم يقل يمسلمانه ، لأنه مسلم بالفطرة . والغلام في هذا الحديث الشريف سمع كلام الراهب – والذي كان على دين الإسلام – والإسلام هو دين الفطرة ، فسمع كلاماً يوافق فطرته ويسايرها ، "فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر – الكاهن – مرَّ بالراهب وقعد إليه ".

وكأني بالساحر – الكاهن – كان يحشو عقل الغلام بما يلقيه عليه من معلومات ، فشأنه هنا كشأن المعلم التقليدي وهو من يعلم العلوم بالتلقين والتحفيظ والعقلي وينسى تدريب من يقوم بتعليمهم العلوم ، فمهما حفظ الغلام من نظريات العلوم وفنونه ، فإنه سوف لا يتعلم العلوم ولا فنونها ما لم يرتبط العلم بالعمل ، ومالم تتواكب النظرية مع الممارسة العملية . ألا ترى أن رسول الله ﷺ أمرنا بتعليم أبنائنا الصلاة لسبع ، حتى يمارسوا ما حفظوه من آيات قرآنية في تلاوة ذلك في الصلاة، فيكون الغلام قد حفظ علماً ومارسه عن قرب . وكذلك الأدعية التي نحفّظها أبناءنا ، لن يكون لها فائدة ما لم يمارسوها في أثناء ممارساتهم اليومية وسلوكياتهم في الحياة الدنيا .

بالإضافة إلى نوعية العلوم التي يلقيها المعلم التقليدي – وهو الكاهن الساحر – فإن هذا العلم ليس له كبير فائدة في الوجود ، ولا يعود لا على الساحر ولا على المجتمع بأدنى منفعة ، كما أن الغلام وجد أن هذا العلم لا يتعامل معه الناس ، ولا يلوون عليه . كما أن هذا العلم هو عبارة عن طلاسم ورموز يتعامل بها الساحر – ومن يتعلم على يديه – مع مخلوقات أخرى ، ليس لنا أية علاقة بهم من قريب أو بعيد، وهم الجن ، إلا الإيمان بوجودهم ، وأنهم عالم آخر لا يمت للإنسانية بصلة ، حيث إن بيننا وبينهم حجاب ، فهم يروننا من حيث لا نراهم ، قال تعالى في شأن الجن وإبليس عليه لعنة الله منهم :" إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " ولهم القدرة – التي أعطاهم الله إياها – على التشكل بأي شيء أرادوا عدا صورة النبي محمد ﷺ لقوله ﷺ في شأنهم فيما رواه الإمام البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ * [١٧]. ولذا لا عجب أن يمقت هذا الغلام مثل هذا العلم الذي لا يتوافق مع الفطرة ، ولا يتمشى مع متطلبات الحياة ، ويهرب منه إلى أي علم آخر يتوافق مع فطرة الغلام ومع الحياة التي يحياها .

هذا وقد ظهرت الفروق في النتائج بين التعليم التقليدي ، وبين التعليم من خلال الممارسة . والتعليم التقليدي هو الذي كان يمارسه الساحر – الكاهن– ويمارسه كثير من المدرسين اليوم ، مما زاد من حدة الإخفاق في العملية التعليمية والتربوية ، مما أثر سلباً على غرس القيم وترسيخها . "بيد أن المعلم الماهر هو الذي يستثمر المادة العلمية مهما كانت ، ويترجم منها ما

[١٧] – صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ رقم الحديث ١٠٧ .

يستطيع إلى سلوك وقدوة ، يقتنع بها الأطفال ويسيروا على غرارها . من هنا فلم يصبح غريباً غياب القدوة أمام الطفل ، وبات لا يجد صدى لما يحفظ من قيم سواء في الأسرة أو المدرسة ".[١٨]

وهاهو الغلام يجري امتحاناً لكلا العِلْمَين الذين نقلهما عن معلميه ، أيهما أرسخ ؟ وأيهما أقنع لنفسية الغلام ؟ وأيهما أنفع للغلام وللأمة حتى يستمر في النهل من معينه ؟ وهنا كان الامتحان عملياً ، ليأتي دور الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتأثيره على مجريات الحياة جميعاً ، وليس على حياة الغلام .

والإيمان يقصد به :" القول باللسان ، والتصديق بالجنان ، والعمل بالأركان ."[١٩]

والإيمان أساس الدين ، وهو القيمة العليا ، وهو الوازع الداخلي الحي المتجدد، الذي يلازم الفرد في تفكيره وتأمله ، ويوقظ الضمير لمراقبة أفعال الإنسان ، ما خفي منها وما ظهر، وهو الذي يحثه على مكارم الأخلاق ، ويبعده عن الرذائل .

وهو الأساس الذي ترتكز عليه جميع التصرفات ، فإن كان الإيمان صحيحاً كان السلوك منتظماً ، وإن شابته شائبة ، اضطرب السلوك ، واختلطت الفضيلة بالرذيلة ، وساءت حالة المجتمع .

ومما لا شك فيه أن الإنسان ليشعر بالسعادة ، إذا تم التوافق بين الحقيقة العلمية ، وبين ما يحسه بالفطرة . قال تعالى :" فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيِّم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ."[٢٠]

والآن يظهر فاعلية الإيمان بالله ، وأثرها على نفسية الغلام ، وعلى صدقية ما تعلمه على يضدي المعلمَين . ففي الحديث :" فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ ، فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ". وفي رواية الإمام الترمذي رحمه الله :" .. قال : فبينما الغلام على ذلك إذ مرَّ بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة ، فقال بعضهم : إن تلك الدابة كانت أسداً ، فأخذ ، فإخذ الغلام حجراً فقال : اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً فأسألك أن أقتله ، ثم رمى فقتل الدابة ، فقال الناس من قتلها ؟ قالوا : الغلام ، ففزع الناس ، فقالوا : قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحدٌ ".

---

[١٨] – بعض القيم التربوية ودور الأسرة والمدرسة في إكسابها للطفل . بحث للدكتور محمد على محمد المرصفي ص ١٩ .

[١٩] – أيها الولد ، للإمام محمد الغزالي ، ضمن مجموعة الجواهر الغوالي ، طبع القاهرة ، ١٩٣٤م ص٦١.

[٢٠] – سورة الروم ، آية رقم ٣٠ .

وهذا يبيِّن بما لا يدع مجالاً للشك ، ويؤكد على دور المعلم القادر على أداء دوره في التنشئة الاجتماعية للغلام ، ويتضح ذلك من خلال ترجمة الأنشطة المدرسية إلى قيم ، وعلى رأسها الإيمان بالله ، والصدق ، والأمانة ، والتعاون ، والإيثار ، والصحبة ، وقيام المعلم بالتعليق والمقارنة واستنباط القيم التربوية ، وتشجيع الأطفال للتعبير عن آرائهم بحرية ، وذلك للحد من الإعداد التقليدي للطفل ، ومكافأة الأطفال النشيطين والمجدين الذين يبرزون تعاونا فعالاً ينم عن اكتسابهم للقيم التربوية الصحيحة وتوجيه الطفل نحو القيم التربوية التى تسهم في التنمية الاجتماعية والسياسية، واحترام المال العام . ويمارس المعلم القيادة الحسنة أمام الطفل، ويعمل على تنبيه عواطفه وقدراته بما يسهم في ترسيخ القيم التربوية ، وبناء جسور العلاقات الإنسانية مع الأطفال بما لا يطغى على احترامهم للمعلم ، وبما يسهم في بناء الشخصية القوية وزيادة ثقة الطفل في ذاته ، وتشعره بأنه مقبول من الغير ، محبوب وحائز على الإعجاب الكافي في كل نشاط مدرسي ، بالإضافة إلى الرغبة في الاكتساب والتعلم .[٢١]

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام ، هو أن استجابة الدول للتطور والتقدم الحضاري والتكنولوجي لم يعد يقتصر فقط على هذا ، بل بات يرتكز أيضاً على ترسيخ القيم وتثبيتها بين الأطفال من أجل مستقبل أفضل .

٧-**العلامة السابعة** : وهي مراقبة اللأطفال ، وهي عمل مشترك بين المدرسة والأسرة يكمل بعضهم بعضاً ، فإذا رأى المدرس تغيراً في سلوك الغلام من الحسن إلى الأسوأ ، فيجب عليه أن يخبر إدارة المدرسة ، والتي بدورها تخبر الأسرة بذلك حتى تشارك الأسرة المدرسة في تعديل السلوك السيء أو الجانح لهذا الغلام ، قبل أن يقع من الغلام ما لا تحمد عقباه . فربما تكون هناك من الأسباب لدى الأسرة ساعدت في هذا الأمر ، من سوء في التعامل أو التكلم بألفاظ بذيئة مع الغلام أو أمامه من الوالدين أو أحدهما أو أفراد الأسرة أو زملائه ، أو وضع الأسرة الاجتماعي من انفصال الأب عن الأم ، أو الوضع الإقتصادي ، أو سوء الجوار، أو مرض نفساني مثل اكتئاب أو غير ذلك ، كل هذه العوامل تساعد في تغيير سلوك الطفل من الحسن إلى السيء .

وفي الحديث الذي نحن بصدده فإن الغلام أصبح يبطئ عن الساحر - الكاهن - وهذا يعني تأخر الغلام في الوصول إلى المدرسة ، لذا أرسل الكاهن إلى أهل الغلام، وأخبرهم بتأخر الغلام عن الدروس ، وبدأ يغيب عنها ، ربما يكون التأخر بسبب من أهله وذويه أو من غيرهم ، ليشترك الجميع في إيجاد الحل المناسب لهذه الظاهرة عند الغلام .

والشيء الذي يلفت الإنتباه هو أن الكاهن أرسل إلى أهل الغلام بمجرد إبطاء الغلام وتكرر تأخره عن حضور دروس الكاهن ، لأن اكتشاف المشكلة في بدايتها ، يجعل الحل أسهل على أهل الغلام والمدرسة ، كما يساعد في شفاء الغلام مما حل به من مشاكل مرضية نفسية أو اجتماعية .

[٢١] - مقدمة في أصول التربية . للدكتور محمد على المرصفي ، جدة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، طبعة ١٩٠٤هـ الطبعة الأولى ، ص ١٦٠ . بتصرف .

يؤخذ ذلك من قوله ﷺ في الحديث الشريف كما في رواية الإمام الترمذي رحمه الله: " قال : فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ عن الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني ". كي يراجعوا غلامهم في شأن التأخير المتكرر والغياب عن حضور دروس الساحر – الكاهن – .

٨– **العلامة الثامنة** : وهي أن الحديث الشريف يشير إشارة واضحة إلى ما نسميه اليوم بالبحث العلمي التجريبي المجرد عن الهوى والتعصب ، فهذا البحث بهذه الصفة يوصل قطعاً إلى الإيمان ، وربما كانت هذه الحقيقة وراء إعلائه لشأن العلم ، وإجلاله للعلماء .

فالإسلام لا يخشى على عقائده ولا مبادئه ، كما لا يخشى على معاملاته من أي بحث علمي تجريبي أو غير تجريبي ، سليم نزيه ، بعيد عن الهوى والتعصب الأعمى ، لأنه على يقين بأن هذا البحث سيوصل أصحابه إلى النتائج نفسها التي قررها، ولأنه – الإسلام – حقيقة ، والحقيقة لا تخشى البحث [٢٢]

أما ما قيل من وجود تعارض بين العلم والإسلام ، في بعض الجزئيات العملية في الحياة ، فهو لا يعدو أحد ثلاثة أمور :

الأول : عدم اكتمال البحث العلمي ، بحيث يصل درجة الحقيقة العلمية المسلم بها ، وعند ذلك يبدو مخالفاً لبعض ما هو مقرر ، وعندما تصل المعلومات إلى مستوى الحقيقة العلمية الثابتة ، ستجد نفسها بين يدي الحقيقة المقررة في الإسلام .

الثاني : وإما لأن المنقول عن الإسلام ، ليس صحيحاً وفق المنهج العلمي المتبع في نقل النصوص . وقد وجدنا التعارض بين الحقائق العلمية ، وبين روايات ضعيفة لا تصلح ، أو موضوعة ، وهذه لا تمثل مبادئ الإسلام .

ومن هذه النقطة أرى من الواجب علي في هذا البحث المتواضع – وأنا المتخصص في علم الحديث الشريف وعلومه – أن أذكر بأنه من الواجب على الباحثين في العلوم الإسلامية ، الاهتمام بالرواية وشروط قبولها ، لاستخلاص الحقائق العلمية ، من دون التورط بمزالق وأخطاء فظيعة ، بسبب الغفلة وقلة الاعتناء والتتبع ، وبالتالي الإساءة إلى الدين .

الثالث : وإما لأنه وقع خطأ في تفسير النص المقطوع به ، من قبل بعض المجتهدين ، وفق المعطيات العلمية السائدة في عصرهم .

[٢٢] – العقيدة الإسلامية وأ سسها ، لشيخنا الأستاذ عبدالرحمن حبنكة الميداني ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٦ م ، ٩٣/١ وما بعدها . بتصرف شديد .

ومن المعلوم أن الدين ليس مسؤولاً عن النتائج المترتبة على مقدمات خاطئة، توصل إليها أهل الرأي والاجتهاد [٢٣].

أما الحقائق المقطوع بها من قبل أهل العلم ، والحقائق المقطوع بها في الدين، فلا بد أن يلتقيا في الحقيقة الواحدة ، لأن الحق لا يتعدد في الاعتقاد والكائنات الثابتة . وكيف يتعدد والحقيقة مستمدة من الحق وهو الله ، والعلم منه سبحانه وهو القائل :" وعلم آدم الأسماء كلها"[٢٤]

وبعد هذا التوجيه نجد الحقائق العلمية دائماً مسبوقة بالحقائق التي جاء بها الإسلام.[٢٥]

وهذا باعث قوي للوصول إلى الإيمان عن طريق البحث العلمي ، حيث وجد المختصون ، وفي كل مجالات الحياة ، أنهم يدورون في فلك القرآن ، فيكون إيمانهم أقوى وأصدق . قال تعال :" إنما يخشى الله من عباده العلماء".[٢٦] وذلك لأنهم أعلم بجلال الله [٢٧].

وفي هذا الحديث الشريف نرى أن الغلام قد أجرى عملية تجريبية علمية على ما يقوله كل من الراهب والساحر (الكاهن) أي على العلم الذي يحمله كل منهما ويعمل به :" اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس " وفي رواية الإمام الترمذي رحمه الله :" .. فقال اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً فأسألك أن أقتله ، ثم رمى فقتل الدابة " .

وكما ورد في الحديث الشريف قبل ذلك :" أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين". ولذا الدين الإسلامي لا يخشى المواجهة ولا النقاش العلمي ، ولا يخاف مما يخاف منه أصحاب الأديان الأخرى المشوبة بكثير مما شوهها ، وأخرجها عن قدسيتها وحقائقها ، وذلك بإدخالهم فيها ما ليس من كلام الحق ، لذا خالف الحقائق المستمدة من العلم الذي هو من لدن الحق سبحانه وتعالى .

هذا ويعتقد الباحث أن غربة الغلمان في مجتمعاتنا اليوم هي مكمن الخطر،لما يعيشونه من انفصال بين ما يتعلمونه نظرياً في المدرسة ، وما يعيشونه في واقع المجتمع ، فبمجرد أن يغادر الغلام المدرسة ، يجد نفسه مباشرة غريباً عن واقع الحياة العملية ، حيث الكذب والخيانة والرشوة ،

---

[٢٣] – بداية الهداية وتهذيب النفوس بالآدات الشرعية للإمام الغزالي ، دراسة وتحقيق الدكتور محمد سعود المعيني ، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب ١٩٨٨م ، انظر دراسة د. المعيني ص٣٠-٣١.

[٢٤] – سورة البقرة ، بعض الآية رقم ٣١ .

[٢٥] – روح الدين الإسلامي . عفيف طبَّارة ، ط ٢١ ، دار العلم للملايين ١٩٨١م ص ٨٦ .

[٢٦] – سورة فاطر بعض الآية رقم ٢٨ .

[٢٧] – بداية الهداية ، مرجع سابق ، انظر دراسة د. محمد سعود المعيني ص ٣١ .

مما يفقد العملية التعليمية هدفها الرئيس الذي أنشئت من أجله وهو المساهمة الفعالة في ترسيخ وتدعيم القيم الإيمانية والأخلاقية والتربوية . لذا فإن مسئولية المدرسة في عصرنا الراهن " لن تنتهي بالمحافظة على الوضع الراهن أو القائم ، ولا حتى عن طريق التنشئة الاجتماعية والمادية المتغيرة ، ولكن بدلا من ذلك سوف تمتد إلى أقصى درجة ممكنة من تشجيع القدرة الخلاقة لأعضاء المجتمع الجدد"[٢٨] ، ومدهم بالمعلومات والعواطف والمهارات مطعمة ومدعمة بالقيم الإيمانية والأخلاقية والتربوية .

وعندما تعجز المدرسة – ممثلة بالمدرسين والخطط التربوية – عن الأخذ بعين الاعتبار لتلك الأبعاد ، فلن يستطيع الأطفال أن يكسبوا مقومات حياة الغد ، وهكذا يعيش الطفل غريباً في أسرته ، غريباً في مدرسته ، كما ينذر بخطر لا يحمد عقباه .

٩ – **العلامة التاسعة** : التحذير من العلم الخاطئ المبني على عقائد فاسدة ، فإنها لن يجني إلا الدمار والهلاك . ولقد كان الساحر – الكاهن – يمثل ذلك التعليم الخاطئ ، لأنه يعلِّم الغلام أنه يستطيع أن يأتي بما لا يستطيع أن يأتي به غيره ، إلا من تعلم مثله. وأنه مَلَكَ أو يملك زمام الأمور ، ألا ترى أنه يأتي بالعجائب والخوارق التي لم يعتد عليها الناس . ونسي أن هذا العلم – السحر – هو في الحقيقة هراء ، ولا يستطيع أن يغير من طبيعة الأشياء . قال الله سبحانه وتعالى في شأن سحرة فرعون :" قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعِصِيُّهم يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى*"[٢٩] فإذا كان الساحر يستطيع أن يأتي بما يخيَّل إلى الناس – وليس حقيقة – أنه مراده ، حتى خيِّل لسيدنا موسى عليه السلام أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة ، رغم ذلك فإن هذا السحر لا يصمد أمام الحقيقة الإيمانية ، والآية الربانية ، " إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى "

وحتى لا نبعد عن الحقيقة فإننا نقول : إن السحر رغم التخييل الذي يصحبه ، والكذب الذي يدعيه صاحبه ، فإن له رهبة في صدور الناس . قال سبحانه وتعالى في شأن سحرة فرعون وسحرهم :" قال ألقوا ، فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم، وجاؤا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فإذا هي تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين *"[٣٠]

وهذا يسوقنا إلى القول بإن التربية والتعليم المبنيين على أسس خاطئة توهمان صاحبها أنه على شيء من السلطان أو القوة ، ولكنه في حقيقة الأمر هو على لا شيء، وستأتيه الهزيمة من حيث لا يحتسب . والذي نريد أن نخلص إليه هو أن التربيات والتعاليم التي يتلقاها الأطفال في أمريكا وبقية العالم عن طريق شاشات التلفاز ، والتي غزت معظم البيوت ، وقد زاد الطين بلة ما تقوم به القنوات الفضائية من نقل لما يحدث من حروب ودمار ، يشنها الحلف الأطلسي وعلى رأسه

[٢٨] – الطفل والمجتمع ، عملية التنشئة الاجتماعية ، لفريدريك الكين وجيرالد هاندل ، ترجمة محمد سعيد حسنين ، مؤسسة سعيد بطنطا ١٩٧٦م ، الطبعة الأولى ، ص ١٣٩ .

[٢٩] – سورة طه الآيات رقم ٦٦-٦٩ .

[٣٠] – سورة الأعراف الآيات رقم ١١٦-١١٩ .

الولايات المتحدة الأمريكية مستخدمة آلتها العسكرية الجبارة ، مع هذه الصور لأسراب الطائرات والأساطيل وقواعد الصواريخ ، كل ذلك لا شك أنه سيؤدي إلى تكوين " عقيدة التكنولوجيا المدمرة " مفادها عبادة التكنولوجيا المدمرة واستخدامها والتلذذ بمشاهدة آثار فعلها في الآخرين.

إن " الأنا العليا " والتي تجسدها أمريكا بتفوقها بصواريخها وطائراتها على القوى الأخرى تعشعش بصورة متجذرة في التكوين الذاتي للأمريكيين ، منذ تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية على أنقاض الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين . ففي ظل السياسات الأمريكية المعاصرة ، والثقافة الأمريكية المعاصرة ، ينبغي حتما أن تتولد ظواهر العنف في أوساط الغلمان والمراهقين بخاصة .

وهاهي " الأنا العليا " يفتتن بها الأطفال الأمريكيون ويتلذذون بها كلما شاهدوا على شاشة التلفاز مؤشر التصويب والتسديد في الطائرات الجبارة مصوباً إلى هدف أرضي في العراق – ملجأ العامرية – أو ليبيا – مقر للرئيس القذافي – أو السودان – مصنع الأدوية – أو لبنان – قانا – وأخيراً في يوغسلافيا عندما قصف مبنى البث التلفزيوني في بلجراد ، ثم يصبح ذلك الهدف في الوهلة اللاحقة هباءً وغباراً متصاعداً إلى السماء . إنه مشهد سهل مدهش مصور من أعلى إلى أسفل ، ففي الأعلى يجلس الطيار العملاق المتحكم في التكنولوجيا الساحرة ، أما في الأسفل فهنالك أولئك البشر غير المهمين ، ومنشآتهم التي تصلح أهدافا للضرب ، وهم أنواع أخرى من الهنود الحمر ، يجوز فيهم ما جاز من قبل وما بقيت السينما الأمريكية تخلده من ذكريات تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية .

ولن ينتهي الأمر عند حد توجيه العنف ضد الآخرين المختلفين ، فهناك مقولة صحيحة بالتجربة العملية الملموسة تقول :" إن من المتعذر على أي مجتمع يعتنق عقيدة العنف ضد الأخرين ، أن يحول بين العنف وبين الاتجاه إلى الداخل في قلب المجتمع نفسه ". وهذا ما أكدته الدراسات العلمية على الجنود الإسرائيليين ، الذين كانوا يلاحقون الأطفال والشبان في الانتفاضة المباركة ، حيث قد انعكس ذلك على سلوكهم مع أهليهم ، عندما يعودون إلى بيوتهم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، أو انتهاء الخدمة العسكرية ، فكانت أسرهم تشكو منهم أنهم يمدون أيديهم بالضرب المبرح على الزوجة والأولاد والبنات ، وذلك من انعكاس ما كانوا يقومون به من ممارسات ضد شعبنا شيوخه وشبابه ونسائه وأطفاله .

والشاهد الآخر هو ما أقدم عليه مراهقان أمريكيان داخل مدرستهم في كوالارادو في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أسبوعين ، حيث قتلوا ستة عشر من زملائهم وجرحوا ستاً وعشرين . والمهم في هذا الأمر هو تكرار هذا العمل ، حتى بلغ مبلغ الظاهرة ، ومع دخول عنصر المتفجرات إلى السلاح المستخدم في المذبحة الجديدة يصبح حجم الظاهرة أكثر إثارة للقلق . إن ما يحدث في المدارس الأمريكية ليس شذوذاً عابراً يمكن الركون إلى تفسير وقائعه كل على حدة . وإن مسلك

الصبية المراهقين الجانحين مرتبط بطريقة ما بعنف الدولة نفسها ، وبالطريقة التي تستخدم فيها أدوات ترسانتها العسكرية . لذا لا غرابة والحال كذلك أن نشهد هذا الإجرام المتزايد في صفوف المراهقين ، حيث قد ألقي القبض على خمسة آخرين كانوا يعدون لمذبحة أخرى ، إلا أنها أفظع .

كما زاد الطين بلة ، عندما تعدى أمر هذه التربية السيئة إلى البلدان المجاورة، فهاهي الإذاعات المرئية والمسموعة والصحف والمجلات تنقل إلينا خبراً جديداً عن إطلاق أحد الطلاب النار على زملائه في المدرسة في كندا . وما نسمعه اليوم في بريطانيا وألمانيا ، وما يفعله الصرب في كوسوفا وقبل في البوسنة والهرسك . ولعلي أجزم بعد أن أصبح العالم الكبير كالقرية الصغيرة ، إن هذه العدوى من الممكن أن تنتشر في بقية المجتمعات ، خاصة منها المفتوحة ، وذلك بعد القفزة التكنولوجية الهائلة في وسائل الإعلام . وكما افاد العلماء أن هناك أمراضاً مادية تصيب الجسد ، وأمراضاً معنوية تصيب الأخلاق . فما الذي سيحمي مجتمعاتنا من هذا الوباء الفتاك ؟! إن لم يكن الإيمان الذي يدعو إلى الأخلاق الحميدة ، والعلم الذي يعصم صاحبه بالوقاية من هذه الأدواء ، فما أدري ما يعصم أبناءنا ، قال تعالى : " قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ".[٣١]

وهذا هو بداية انقشاع غمامة سحر التكنولوجيا عن عيون أصحابها ، إذ أصبحوا يقاسون نتيجة سوء تربيتهم وسوء تعليمهم لأجيالهم في شتى مجالات الحياة ، في البيت أو المدرسة أو الشاشة الصغيرة أو الكبيرة أو المسرح . فكل حياتهم أصبحت متشابهة ، والأخطاء متكررة ، وهي إعطاء علوم دون القيم الإيمانية والإنسانية والأخلاقية . وهل يحصد زارع الشوك إلا شوكاً وألماً ؟!!!

فأي علم لا يبنى على إيمان بالله سبحانه وتعالى ، وأخلاق متينة ، يمنعان صاحبهما من إيذاء الآخرين ، ويحثانه على فعل كل شيء فيه خير للبشرية . ألا ترى كيف انبرى هذا الغلام ، عن طريق العلم الذي تعلمه على يدي الراهب المسلم ، ليزيح الأذى من طريق عموم الناس .

١٠ -**العلامة العاشرة** : استعمال المحفزات .

كم هي الفرحة التي تملأ قلب المدرس عندما يرى ثمرة جهده وجهاده في تربية الجيل والعلم الذي ورَّثه لتلاميذه هاهو قد آتى أُكله . ولذا كم كانت الفرحة سافرة على محيَّا هذا الراهب – المعلم –المسلم عندما أخبره الغلام خبره وما فعل في سحابة ذلك اليوم مِنْ قَتْله للدابة العظيمة التي حبست الناس عن طريقهم . فإذا بالراهب المعلم – كأني به – يربت على رأس الغلام وكتفيه ، ويعطيه دفعة إيجابية معنوية كبيرة ، كان لها التأثير العظيم على هذا الغلام . يؤخذ كل ذلك من نص الحديث الشريف على صاحبه الصلاة والسلام :" .. فأتى الراهبَ فأخبره ، فقال له الراهب : أي بُنيَّ ! أنت

[٣١] – سورة هود ، بعض الآية رقم ٤٣ .

اليوم أفضل مِنِّي" إنها محفز إيجابي معنوي عظيم ، مدرسٌ يقول لتلميذه وغلامه :" أي بني ! أنت اليوم أفضل مني" صحيح إنها ليست محفزاً مادياً ، إلا أنها أعظم بكثير من أي محفز مادي ، تجعل الغلام يحب معلمه ، ويسمع لنصائحه ، ويتفانى في تلبية مراده، ويبذل كل غالٍ ورخيص في سبيل الدفاع عنه. بالإضافة إلى أن هذا المحفز سيجعل زملاء الغلام ونظراءه يعرفون له قدره ، وينزلونه منزلته التي تليق بكونه متفوقاً . كما أن الغلام سيصبح قدوة لزملائه في الدراسة وتحصيل العلم والتنافس فيه ، كما إن المحفزات ستخلق روح التنافس الشريف في التحصيل العلمي وكسف أعلى الدرجات . إنها المحفزات الإيجابية التشجيعية للغلمان .

١١ -**العلامة الحادية عشرة** : بذل النصح وتثبيت القلب .

لقد عرف الراهب المعلم أن هذا الغلام قد بلغ من أمره ما بلغ ، صدقاً في الإيمان ، وإحساناً في الأعمال ، ولذا لا بدَّ من دفع ضريبة هذا الإيمان وهذا الإحسان قال تعالى :" ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنَّا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين*".[٣٢]

ومن المعلوم يقيناً أن الابتلاء سنة الله في عباده المؤمنين ، فكلما ثخن إيمان العبد كلما ازداد ابتلاؤه ، ليزيد الله له الأجر والمثوبة حتى يمشي على الأرض ولم يبق عليه خطيئة واحدة . مصداق ذلك في الحديث الشريف الذي رواه الإمام الترمذي رحمه الله في جامعه عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ*[٣٣]

كما أن المصطفى ﷺ أخبر أن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، فهنيئا لهذا الغلام على ما أعد الله له من عظيم جزائه ووفير مثوبته ، لأنه أقبل على الابتلاء وهو راض عن ربه سبحانه وتعالى فقد أخرج الإمام الترمذي رحمه الله عن أنس بن مالك ﷺ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ

---

[٣٢] – سورة العنكبوت رقم الآيات ١–٣ .

[٣٣] – جامع الترمذي ،كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء ، رقم الحديث ٢٣٢٢ ، وقَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي :" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأُخْتِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ." وسنن ابن ماجة ، للإمام ابن ماجة القزويني في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ، رقم الحديث ٤٠١٣ .

عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ .*[٣٤]

١٢–**العلامة الثانية عشرة** : بالإيمان والعلم معاً يسمو الإنسان .

لقد أصبح لهذا الغلام شأن عظيم ، بعد أن قتل الله على يديه تلك الدابة العظيمة – قيل إنها أسد – التي حبست الناس ، ورأى الناس وشاهدوا مهلِك الدابة بأم أعينهم ، فتناقلوا أخباره بينهم ، حتى أصبح اسمه على كل لسان ، فهذا العمل الجليل الذي قام به ، قد خفف عن الناس أعباءهم ، وأراح كواهلهم . كما أن الإيمان الذي يحمله بين جوانحه دفعه إلى عمل الخير ، وإلى الخلق الحسن وإلى العمل التطوعي ، دون أن ينتدبه أحد . وهذا شأن المسلم في كل زمان ومكان ، مصدر خير وعنوان له . فلا غرو أن يحبه الناس ، لأنه لم يكن يبخل عليهم بنصيحة أو إرشاد أو علاج أو تمريض . ولا عجب أن يدل بعضهم بعضاً عليه ، لعلهم يجدون عنده ما يطبب مرضاهم ، أو يخفف من آلامهم . يؤخذ ذلك من رواية الإمام الترمذي رحمه الله في قوله ﷺ في الحديث الشريف: ".. فقال الناس : من قتلها ؟! قالوا : الغلام ، ففزع الناس فقالوا : قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد . قال : فسمع به أعمى .." وكذلك ما ورد في رواية الإمام مسلم رحمه الله :".. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك ، كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة .." وهكذا ارتفع اسم هذا الغلام على كل لسان ، وذاع صيته في كل مكان ، وهذا من بشائر الخير الأولى له .

١٣–**العلامة الثالثة عشر**: استخدام العلم ، والمهن في سبيل الدعوة إلى الله.

ولم يغفل الغلام عن الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى ، وإلى الإيمان به ، وهو الذي به رفعه الله إلى مكانته المرموقة ، وجعله يذكر على ألسنة الخلق . لذا كان الغلام يدعو كل من يعالجه أو يقدم له نصيحة أو إرشاداً إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، وإنه هو الذي يحيي ويميت ، وأنه هو الذي بيده الخير والشفاء من كل داء ، فيجب أن يتوجه إليه بالدعاء وحده دون سواه ، مهما كان أمره سواه ، أو علا قدره ، حتى ولو كان هذا من جعل الله الشفاء على يديه . كما كان الغلام لا يعالج أحداً إلا ويشترط عليه أن يؤمن بالله الذي بيده الأمر كله من قبل ومن بعد .

ويؤخذ هذا من قوله ﷺ في الحديث الشريف في رواية الإمام مسلم رحمه الله : ".. فسمع جليس للملك كان قد عمي فإتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ههنا لك أجْمَع إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله . فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله ".

[٣٤] – جامع الترمذي ، كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء رقم الحديث ٢٣٢٠ ، وقَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي :"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ". وانظر سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ، رقم الحديث ٤٠٢١ .

كما كان يفاوض الملأ من قومه ، والذين تملكت عبادة الملك في قلوبهم ، ويصعب عليهم أن يخالفوا ما ألفوه وأدمنوا عليه ، إلا إذا رأوا بأم أعينهم من الآيات والمعجزات أو الكرامات ما يبهرهم ، ويجعلهم مذعنين لمن جعل الله ذلك على يديه ، فكان الغلام يأخذ عليهم العهد والأيمان إن ردَّ الله عليهم ما فقدوه من نعم ، أن يؤمنوا بالله الذي رد عليهم ذلك. يؤخذ ذلك أيضاً من رواية الإمام الترمذي رحمه الله :" .. قال : فسمع به أعمى فقال له : إن أنت رددت بصري فلك كذا وكذا ، قال : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك ؟ قال : نعم . قال: فدعا الله ، فرد عليه بصره فآمن الأعمى .."

ويستفاد من ذلك أن الداعية يجب أن يستخدم جميع ما توصل إليه من فكر ومحاجة في سبيل هداية الآخرين إلى دين الله القويم . فمن قبل الشرط أولاً كان بها ، ومن لم يقبل لا يتركه الطبيب الداعية وشأنه ، بل يخبره أن الله هو الشافي وهو المعافي ، ويشترط عليه أن يؤمن بالله بعد العلاج أو الشفاء ، فتكون دعوة الطبيب الداعية لدين الله أدعى للقبول في نفوس أمثال هؤلاء . لكن لا يجوز بحال من الأحوال أن يترك الداعية – طبيباً كان أو مدرساً أو غير ذلك – مريضه يقاسي آلام المرض دون أن يقدم له النصيحة أو العلاج ، حتى ولو لم يؤمن .

١٤ –**العلامة الرابعة عشر** : قوة الإيمان تحمي المؤمن من الإغراء.

لقد فتحت الدنيا على هذا الغلام أبوابها وزينتها ، وكثير من الناس ينجحون في امتحان الشدة ، لكنهم يفشلون في امتحان الرخاء . وهذا الذي كان يخشاه المصطفى ﷺ على أمته من بعده ، أن يتنافسوا الدنيا فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم . لقد أخرج الإمام الترمذي رحمه الله في جامعه بسنده أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ وَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ ثُمَّ قَالَ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنْ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ .*[٣٥]

إلا أن زهرة الحياة الدنيا لم تغر الغلام الذي تشرب قلبه الإيمان حتى فاض على جوارحه ، فإصبحت عينه لا تنظر إلى حرام ، ورجله لا تمشي إلى حرام ، ويده لا تبطش بحرام ، ولسانه لا يغتاب ولا ينم ، أصبح ربانياً ، لئن سأل الله ليعطينَّه ولئن استعاذه ليعيذنَّه. ولذا قال للأعمى الذي جاءه بهدايا

[٣٥] – جامع الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب منه رقم الحديث ٢٣٨٦ ، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح ". كما أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن باب فتنة المال رقم الحديث ٣٩٨٧ .

كثيرة وقال له : " ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك . فآمن بالله فشفاه الله ." إنها العقيدة الملازمة للغلام في كل أحواله ، لا يغريه المال ، ولا المنصب ، ولا النساء ولا شيء من زهرة الحياة الدنيا . إنه يعيش للعبادة والدعوة وحب الله فحسب ، ويريد للناس الخير ، لذا يدعوهم إلى هذا الخير العظيم ، ويدلهم عليه وعلى مصدره ، يعرفهم بالله خالقهم وممدهم بكل أسباب الحياة ، ويساعدهم على قضاء أعمارهم فيها بسهولة ويسر . وهو الذي بيده النواميس يمضيها ويوقفها متى شاء سبحانه وتعالى . إلا تراه يرد على الأعمى والذي قال له :" إن إنت رددت بصري فلك كذا وكذا . قال : لا أريد منك هذا ولكن أرأيت إن رجع بصرك ، أتؤمن بالذي ردَّه عليك ؟ قال : نعم . قال : فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الأعمى ." نعم . لقد آمن الأعمى بالذي رد عليه بصره وهو الله سبحانه وتعالى . هذا هو مراد الغلام الطبيب المعلم. أن يعرف الناس خالقهم فيعبدوه . هداية الناس إلى الله الحق ، خير للغلام من حمر النعم ، وهي أغلى أنواع الإبل كلها ، بل خير له مما الدنيا وما فيها .

قال ﷺ معلماً على بن أبي طالب ﷺ وبقية الصحابة فيما رواه عن الإمام البخاري رحمه الله " عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ "[٣٦] إذن هداية ودعوة الناس إلى ربهم وخالقهم هو شغل الغلام الشاغل ، وعمله الدؤوب، وهل هناك أحسن من هذا القول أو أفضل من هذا العمل ؟! قال تعالى في شأن الدعاة العاملين صالحاً :" ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين ؟!.[٣٧]

١٥ – العلامة الخامسة عشر: الثبات على المبدأ والقدوة الحسنة من المعلم للتلميذ.

وهذه العلامة تتجلى في الراهب – المعلم – وما لاقاه من عذاب شديد أودى بحياته، ودفعها رخيصة في سبيل الإيمان بالله الذي ملأ قلبه ، وفاض على وجهه ، فأصبح كل شيء في هذه الدنيا يهون عليه ، ويصغر أمام ناظريه إذا ما خُيِّرَ هذا المعلم المؤمن ما بين رضا الله وابتغاء وجهه الكريم

---

[٣٦] – صحيح البخاري كتاب المناقب باب مناقب على بن أبي طالب ﷺ رقم الحديث ٣٤٢٥ ، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبي طالب ﷺ رقم الحديث ٤٤٢٣ .

[٣٧] – سورة فصلت ، رقم الآية ٣٣ .

وبين زينة الحياة الدنيا وزخارفها ، ولو كان ثمن هذا الاختيار لله ومرضاته غالياً سوف يكلف الراهب المعلم روحه وحياته . لقد ذاق هذا المعلم حلاوة الإيمان ، ورأى بواكير ثماره على يد غلامه وتلميذه ، لذا فهو يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أحدنا أن يقذف في النار . فأقبل على الموت بكل رضى ، دون خوف أو وجل ، وذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى . أليس أفضل الجهاد ، كلمة حق أو عدل أمام سلطان جائر ، ففي الحديث الذي رواه الإمام النسائي رحمه الله تعالى " عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ قَالَ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ *[38] ولقد قالها الراهب المعلم ، ليضرب المثل والقدوة في الثبات على المبدأ وعدم خشية السلطان . فإذا قام السلطان الجائر بقتله فقد فاز المعلم بما كان يرجوه من فضل عند خالقه وباريه ، فأي السلطانين يُخشى ؟! وأي السلطانين أحب ؟! سلطان الله حتماً ، فهو المفدَّى لأنه المحبوب ، وهو يريد أن يقترب من محبوبه الأعلى . يؤخذ ذلك من نص الحديث الشريف : "... فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاهُ ".

ولعلي لا أكون مبالغاً عندما أصل إلى نتيجة أن ثبات الراهب المعلم على إيمانه ويقينه كان البداية لثبات الأمة من بعده ، فقد ثبت الأعمى على إيمانه بالذي رد عليه بصره، وثبت الغلام ثبات الأبطال ، بله ثبات الجبال الرواسي ، فلم يثنه تخويف السلطان ولا بطشه ولا ما فعل من قتل الراهب المعلم والأعمى أمامه وتهديده بقتله قتلة لم يُقتلها من قبله أحد ، ثم يثنه كل هذا عن إيمانه وحبه للإله وخالقه . وكذلك كان بداية لثبات الأمة كلها من ورائهم جميعاً ، حيث أقبلت الأمة كلها على الأخدود اللاهب بنيرانه دون تردد ، إنه الإيمان الذي يفعل الأعاجيب .

كما يؤخذ من الحديث الشريف أن الكفار لا تأخذهم رحمة بالمؤمنين ولا إلاً ولا ذمة ، ألا يرى العالم ما يصنعه الصرب المجرمون في المسلمين في كوسوفا ومن قبل في البوسنة والهرسك ؟! إنهم يفعلون ما فعل الملك بأصحاب الأخدود قتلاً وحرقاً لهم ولبيوتهم وممتلكاتهم ، ولا يرحمون صغيراً ولا رضيعاً ، ولا شاباً ولا شيباً ، ولا بنتاً ولا امرأة ولا عجوزاً . وهذا يدلل على أن الكفر كله ملة واحدة .

وهذا درس عظيم من دروس هذا الحديث الشريف ، وهو أن ثبات العلماء وتفانيهم في سبيل الله ، وفي سبيل الدعوة إليه وتعبيد الناس لألهيته سيكون البداية لطريق النصر المؤز بإذن الله سبحانه وتعالى .

---

[38] – سنن النسائي ، للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، كتاب البيعة ، فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر ، رقم الحديث ٤١٣٨ ، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر رقم الحديث ٢١٠٠ ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ بنحوه وقال الترمذي :" هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أبي سعيد الخدري بنحوه ، رقم الحديث ٤٠٠١ ، وعن أبي أمامة أيضاً في الكتاب والباب نفسيهما رقم الحديث ٤٠٠٢ .

ومن قَبِيل التحدث بنعمة الله أن أذكر أن ثباتنا في أثناء إبعادنا إلى مرج الزهور ، وعدم انسياحنا لا في بيروت لبنان ولا في غيرها من البلاد التي تطوعت بإغرائنا إلى النزوح إلى بلادها لنعيش هناك في الفنادق ذات الخمسة نجوم ، مدفوعة الأجر لمدة عامين – مدة الإبعاد – ، ولعلي لن أبوح بسرٍّ عندما أغرينا أيضاً بالخروج إلى حج بيت الله الحرام ، فرفضنا التحرك من مواقعنا هناك بين صخور جنوب لبنان – مرج الزهور– واعتبرنا صمودنا هناك أكبر بكثير من ذهابنا إلى حج بيت الله الحرام ، لأننا في موقع جهاد وصمود وإغاظة لأعداء الله . وللأننا نعلم علم اليقين أن خروجنا من موقع اعتصامنا في مخيم العودة – القدس في مرج الزهور هو بداية الإبعاد الحقيقي ، وهو المسمار الأخير الذي يدق في نعش عودتنا إلى ربوع الوطن . لقد كنا نستشعر صمود الرسل وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ ، وصمود صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وصمود علماء الإسلام في شتى العصور، ومنهم المذكورين في هذا الحديث الشريف وهم الراهب العالم والأعمى والغلام وبقية أصحاب الأخدود ، وعدم نكوصهم على أعقابهم ، ورجوعهم عن عقيدتهم حتى قضوا عن آخرهم ، ومضوا إلى ربهم راضين ، مرضياً عنهم . فارتفعت أرواحهم إلى باريها لتسكن جنات ربها قبل أن تسقط دماؤهم على الأرض ." والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون".[٣٩]

النتائج والتوصيات :

أولاً : النتائج :–

توصل الباحث من خلال دراسته لحديث الساحر والراهب والغلام إلى ما يلي : –

١–اهتمام المسلمون الأوائل منذ فجر التاريخ بالتربية والتعليم معاً ، فهما كل لا ينفصلان ، وبهذا المنهج والذي زكاه رسول الله ﷺ في تربيته صحابته الأبرار رضى الله عنهم أجمعين خرج الجيل القرآني الفريد والذي غير وجه التاريخ في أقل من ربع قرن . وهذا يدل على سبق المعلمين المسلمين بالأخذ بهذا المنهج .

٢– تنوع وتعدد الممارسات التربوية التي كان يقوم بها المعلمون المسلمون الأوائل، واستيعابها مكونات الطبيعة الإنسانية ، وشمولها جميع جوانب حياة الإنسان الروحية والعقلية والجسمية .

٣– كشفت الدراسة عن اهتمام الرسول ﷺ للأخذ بكل ما هو نافع ومفيد ممن سبقنا من الأمم الإسلامية ، والانتفاع به ، والزيادة عليه ، والحكمة ضالة المؤمن ، أنَّى وجدها هو أولى الناس بها .

٤– يتفوق المنهج الإسلامي على غيره من المناهج أنه يأخذ الإنسان في تربيته وتعليمه كلاً لا جزءاً ، ولا يركز على ناحية من نواحي الإنسان – الروحية والعقلية والجسمية – على حساب أخرى لذا فالمنهج الإسلامي شامل كامل متوازن .

٥– نقضت الدراسة ما يذهب إليه بعض المعالجين السلوكيين من أن الإنسان محايد لا خير فيه ولا شر ، وأكدت ما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء من أن :" كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، وأنه يكتسب الانحراف من البيئة التي يعيش فيها ، والأسرة على رأسها ، والمدرسة والشارع والحارة والإذاعة والتلفاز والصحف والمجلات إلى غير ذلك من المسرح والندوات والرحلات والأفراح والأتراح .

[٣٩] – سورة يوسف بعض آية رقم ٢١ .

٦- إذا كان هذا العلم الرائع ، والمنهج الشامل الكامل المتوازن ، ظهر في حديث واحد من أحاديث المصطفى ﷺ ، فلا شك أن في تراث المسلمين الوافر والغزير العديد من النماذج والأساليب مما يستحق البحث فيه ، بهدف الوصول إلى نماذج إسلامية تقوم على المنهج الإسلامي بصفاته الثلاث المذكورة آنفاً .

٧-إن المنهج الإسلامي قد اهتم أول ما اهتم بتصحيح العقائد ، وردها عن طريق الشرك إلى طريق التوحيد ، وهذه أول قيمة عليا يجب أن يهرع إليها، وعليها يبنى ما بعدها . وقديما قال العلماء المصلحون :'' التخلية قبل التحلية '' أي تخلية القلب من كل شرك صغيره وكبيره ، ثم يبدأ بتحلية القلب بالإيمان ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :'' فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم''.[٤٠]

ثانياً : التوصيات :-

يوصي الباحث بما يلى :-

١-أن تتلمس وزارات التربية والتعليم ، والمدراء والمعلمون المنهج الإسلامي الشامل الكامل المتوازن ، ومحاولة تقنينه ، وذلك عن طريق بناء خطة دراسية متكاملة لجميع مراحل التعليم يشارك فيها علماء أصول الدين والشريعة الإسلامية والتربية والاقتصاد والسياسة من أجل تضافر الجهود والعمل على إكساب المتعلم القيم التربوية ، بحيث يصبح ذلك حلاً جذرياً لما تعانيه مجتمعاتنا من هبوط في المستوى الأخلاقي ، ومن تدني للقيم التربوية.

٢-التأكيد على دور المعلم القادر على أداء دوره في التنشئة للغلمان فهم جيل المستقبل ، وذلك من خلال ترجمة العلم الذي يلقنه للنشء إلى قيم الإيمان والصدق والأمانة والتعاون والإيثار والصحبة . وهذا يردنا إلى القول بالتركيز على تعليم القيم الإيمانية والخلقية والممارسة لهذه القيم في أثناء التربية والتعليم .

٣- الحرص على انتقاء أفضل المؤهلين علمياً وتربوياً للعمل في ميدان التربية والتعليم ، من خلال اعتماد معايير واضحة للكفاءة الدينية والعلمية ، وذلك للحد من الإعداد التقليدي للنشء ، ولإكسابهم القيم التربوية الصحيحة والتي تسهم في التنمية الاجتماعية والسياسية وبناء الشخصية القوية ، وزيادة ثقة النشء بأنفسهم واحترام المال العام ، واحترام الآباء وتقدير المعلمين والآخرين إلى غير ذلك مما نحس بنقصه في عصرنا الحالي .

٤- تشجيع إجراء دراسات شاملة حول الممارسات التربوية والتعليمية في الكتاب والسنة ، والتراث التربوي والعلمي الهائل الذي تركه لنا سلفنا الصالح من العلماء المسلمين في شتى الميادين ، ولإبراز ظاهرة السبق الإسلامي في ميدان نهج المنهج التربوي السليم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة .

---

[٤٠] سورة البقرة ، بعض آية رقم ٢٥٦ .